الإجازة العلمية: دلالة المبنى والمعنى
– رصد للحراك الفكري للعلماء ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط–

نذير برزاق*

مقدمة: ثمة مظاهر حضارية انفردت بها الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا تجلّت في العطاءات الفكرية الإبداعية في سبيل تشجيع العلم والعلماء وإعطاء أهمية وإشعاع ثقافي للحواضر الإسلامية، فكانت بلاد المغرب ضمن موكب الإنتاج العلمي من ناحية العلوم المتداولة نقلية وعقلية وكذا جهابذة وفطاحلة العلماء الذين أنجبتهم أين كان لهم باع طويل في الاستمرارية العطائية الحضارية وهذا من خلال ديمومة البصمة التوريثية للعلم بأحد أهم طرق وسبل التواصل الفكري بين العلماء عبر الزمان والمكان والمتمثل في: الإجازة العلمية.

فهي مزيج بين صِغَر حجمها وعِظم فائدتها؛ أين تُعدّ إحدى الدعائم التقليدية الأساسية الراسخة في الحضارة العربية الإسلامية؛ لمساهمتها في توريث العلم عبر الأجيال وفي مختلف الأمصار خاصة بين علماء بلاد المغرب، فكان تداول العلوم لا يتم إلا من خلالها كما أن المؤسسات التعليمية تكافئ بها لدفع الحركة العلمية.

لذا ثمّة إشكال مقلق أرّقني ولَّد مساحات غير آمنة ثقافيا بداخلي مفاده: كيف استطاعت الإجازة العلمية أن تتبوأ مكانة مرموقة وتأخذ شكل ظاهرة فريدة جعلت راغبيها من طلبة العلم ببلاد المغرب يسعون إليها بكل جهد وعناء لحمل شرفٍ يُؤْخذُ ولا يُعطى؟.

فمن خلال هذه الورقة أسعى لإجلاء صور تداول الإجازة بين العلماء ومساهمتهم في إنعاش الحراك الفكري بين أمصار المغرب خلال العصر الوسيط بسبر أغوار مبناها وولوج غياهب معانيها بالوقوف على المجيزين والمُجازين والعلوم التي انتشرت فيها الإجازة وأوضاعها خاصة مع ختام العصر الوسيط.

*طالب دكتوراه ل.م.د– شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة محمد بوضياف– المسيلة.

أولا: الإجازة العلمية: المفهوم والماهية: عرّفت الإجازة بتعاريف متباينة؛ والمتفق عليه في مجملها دون خلاف على أنها إحدى أنواع التحمل والأداء عند المحدثين[1]، ومن بين هذه التعريفات أنها: إذن في الرواية[2]؛ والتصريح بها لفظا أو كتبا تفيد الإخبار الإجمالي عرفا[3]، واعتبرت أنها من العطية؛ فأجازه بمعنى: أعطاه، وهذا الاشتقاق نسبة إلى الإجازة يمنحها الأستاذ لتلميذه الذي استوعب العلوم التي درّسها وعلَّمه إياها، لأن الطالب إذا آنس من نفسه القوة في العلم والقدرة على التدريس والإفتاء والرواية طَلَبَ من شيخهِ أن يُجيزه[4].

وقيل أنها شهادة موثقة جرت العادة أن يمنحها محدث أو فقيه أو عالم إلى طلاب العلم، وكان يسمح للطالب بموجبها رواية الحديث والفتوى ومزاولة التدريس فيما أُجيز[5]، واعتبرها أحد الباحثين أنها عملية النقل الصوتي من جيل إلى جيل[6]، وقدم لنا أيضا أحد المستشرقين تعريفا اصطلاحيا عنها بقوله: رخصة كتابية تسمح لطالب العلم بأن يقوم مكان شيخه و باسمه بتدريس كتاب معين أو جميع المواد التي كان يدرِّسها[7].

لذا نرى الصلة مشهودة بين التاريخ والإجازات؛ وبهذا تعتبر الإجازات نصوصا تاريخية[8]؛ وبها تُفتحُ أبواب العلم لمن استطاع إليه وتمكن فيه[9].

ثانيا: الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط: مظاهر ومعالم: قد أسهمت الرحلة العلمية في إثراء الحياة الثقافية وتوطيد التواصل الحضاري لبلاد المغرب مع غيرها من حواضر الأندلس والمشرق، لأن طلب المعرفة العلمية لا يتوقف عند حد معين رغم وصول بعضهم إلى مراتب علمية متقدمة بعد زياراتهم لمناطق بعيدة جغرافيا وثرية ثقافيا وحضاريا.[10]

1– تلمسان الزيانية: مشتلة حضارية: تلمسان في العهد الزياني كانت محط أنظار معظم العلماء والفقهاء و الأدباء الذين كانوا يعتبرون أن ظهورهم على مستوى ديار الإسلام يبدأ من تلمسان لوجود المعاهد العلمية وعدد من العلماء المشهورين فيها[11].

ولم تكن تلمسان بمنأى عن مظاهر الحياة العلمية كما في سائر الأقطار، فقد كان نظام الإجازة منتشرا فيها منذ تأسيسها[12]، وأصبح بمرور الزمن عادة متوارثة جيلا بعد جيل، فقد قدم الشيخ أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني الإجازة إلى بعض طلبة فاس ومراكش لما نزلها ودرّس بها[13]، وهذا من نتاج ثمرات أبو عيسى موسى بن الإمام (ت 750هـ/1349م) الذي تتلمذ على مشايخ تونس التي كان سند التعليم فيها متصلا بالمشرق: "وانتقل من تونس إلى تلمسان في ابن

الإمام وتلميذه"[14]، وكان هذا في القرن 8هـ/14م، واستطاعت تلمسان أن تحافظ على نفس الوتيرة باستقطاب علماء آخرين وفتح أبوابها أمام العلماء فقد: "انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي... وبث طريقته فيها"[15]، لذا هؤلاء وغيرهم جعلوا من تلمسان مركز إشعاع ثقافي يجلب إليه علماء من كل حدب وصوب، وكان من بين العلماء الذين رحلوا إليها الأندلسي القلصادي عام 840هـ/1436م، ووصف لنا أوضاع تلمسان في هذا القرن قائلا: "كنت في أثناء ذلك آخذ في القراءة والإقراء وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة والهمم إلى تحصيله مشرفة"[16].

2– بجاية الحفصية: إشعاع ثقافي: بجاية كانت من أهم حواضر المغرب الأوسط إلى جانب تلمسان وغيرها، قد عرفت ازدهارا ثقافيا لا نظير له[17]؛ ففي ق 7هـ/13م بالأخص عرفت حركة نشيطة ولأحسن دليل على ذلك هو مستند أبو العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م): "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، ولما نتأمل في هذا العنوان نجده يحمل أكثر من معنى ودلالة، ولم يكن تسميته لمؤلفه هذا اعتباطا، بل يدل على الثراء الكمي والكيفي للعلماء خلال هذه الحقبة، وشهدت طبقات من العلماء كأفراد وحتى كأسر كأسرة المشداليين والغبرينيين وغيرهم، مما أثرى المنتوج الحضاري ببجاية وجعلها تتبوأ مكانة راقية، فالغبريني ألّف كتابه هذا في خضم التنوع والازدهار العلمي بظهور نخب عالمة كان لها باع كبير بالحاضرة وما جاورها، وأطلقت سنانها ورواحها على سائر الحواضر.

أما خلال القرن 8هـ/14م لم يكن أقل أهمية من سابقه، فقد استفادت بجاية من علماء ومدرسين جاءوا من تلمسان وحتى من فاس ومن غيرهما وأضافوا لبنة إلى الصرح الحضاري والرقي الثقافي ببجاية، وساهموا في ازدهار المناهج التعليمية والتربوية بهذه المدنية[18]؛ وأبرزهم ناصر الدين المشدالي الذي: "رجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية واتصل سند التعليم [مع المشرق] في طلبتها"[19]، وغيره ممن ساهم في بوتقة الحضارة الإسلامية من البجائيين، لأن النماذج كثيرة ونيِّرة أمثال: أبو موسى عمران المشدالي، وأبو العباس أحمد بن محمد الزواوي...الخ[20]، فابن خلدون نفسه يشهد لكثير من أساتذته من أبناء بجاية واعترف بفضلهم لأنهم قد أجازوه كأبي العباس الزواوي[21].

ويتضح لنا مما سبق ذكره عن أحوال أهم حاضرتين بالمغرب الأوسط أن الحياة الثقافية كانت مزدهرة، وإن لم تكن على نفس الوتيرة إلا أنهما استطاعتا بفضل فضلاء العلماء أن تحفظا على سند التعليم و اتصاله بالمشرق ثم تفرعه بين المغربة، لذا فهناك شرف عظيم للمغرب الأوسط حتى مع تونس في هذا المكسب في ظل فقدان الأقطار المجاورة لسند التعليم وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خُلوًا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسير عليهم حصول الملكة و الحذق في العلوم، وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم و ذهبت عنايتهم بالعلوم...الخ"[22].

لذا باعتبار الإجازة تدل على المستوى العلمي، لم يكن لطالب العلم أن تنتهي مسيرته في طلب العلم؛ بل لا بد عليه ليصبح من العلماء المشهورين أن يسعى للحصول على الإجازات في مختلف العلوم ومن أشهر علماء عصره ورجال زمانه[23]، فكان علماء المغرب الأوسط يتبادلون الزيارات العلمية بينهم طلبا للعلم ولمزيدٍ من المعرفة رغبة في الحصول على الإجازات[24]؛ على شاكلة إجازة ابن مرزوق الحفيد لعبد الرحمان الثعالبي[25].

والواضح في الأمر أن علماء المغرب الأوسط كانوا من طلاب الإجازة في الغالب وليسوا من مانحيها وإن كنا نقر بأنهم قدموا إجازات لطلبتهم، ومع ذلك فلو أحصينا عدد العلماء الذين منحوا الإجازات من غير علماء المغرب الأوسط لاندهشنا لكثرتهم[26]، وبسببها رحل الكثير خلال القرنين 8-9هـ/14-15م إلى الحواضر الإسلامية للحصول عليها في مختلف العلوم خاصة الدينية[27].

بهذا يمكن لنا القول أن أزهى مرحلة ثقافية في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة كانت إبان القرنين السابع والثامن الهجريين وهي أرقى المراحل[28]، وللقرن التاسع الهجري كذلك آثار ومآثر تبين مدى ثرائه الفكري، يقول الباحث أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد: "يعتبر إنتاج القرن التاسع من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء العلماء والمؤلفات... وكثير من إنتاج القرن التاسع ظلّ موضع عناية علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك، وكثير من العلماء من القرن العاشر كانوا تلاميذ أوفياء لعلماء القرن التاسع... وبالرغم من أن القرن التاسع كان عهد إنتاج ثقافي؛ فإنه على المستوى السياسي كان عهد اضطراب وتدهور... الخ"[29]، فالمغرب الأوسط خلال القرون الثلاثة عرف واشتهر بجيل من العلماء

ساهموا في دفع الحركة العلمية إلى الأمام وساهموا مساهمة فعالة في إثراء حقل العلوم بالمغرب الأوسط[30].

ثالثا: الإجازات العلمية خلال ق 9هـ/15م: صور وتجليات: من الصعب أن نحصي أي صنف من الأصناف عدد الإجازات لأن ذلك يكاد يكون مستحيلا[31]، و بالرغم من هذا إلا أنه هناك نماذج تعبر عن مدى اهتمام علماء المغرب الأوسط بالإجازات وتداولها بين حواضر بلاد المغرب.

خلال هذا القرن اعتمدت على بعض المقتطفات وهي نتاج تمحيص، أين تمكنت من استخراج بعض الإجازات التي تعطينا ولو لمحة موجزة عن أوضاعها في هذه المرحلة، فمن بين الذين اعتمدت عليهم: عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م) في مصنَّفه: "غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد"، ورحلته، وعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) في رحلته؛ أين ذكر بعض إجازاته من طرف علماء المغرب الأوسط، ومن بينهم حسبه: "الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القرآن العظيم بالجامع الكبير بين القراءات السبع من طريق أبي عمر... وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالإجازة العامة"[32]، وأضاف كذلك رواية أخرى فيها شيء من المضمر وهي في جانب العلوم العقلية قال: "شيخ العلوم العقلية محمد بن إبراهيم الأبُلّي أصله من تلمسان وبها نشأ... لزِمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية"[33]، لكن بهذا لم يذكر إن كان قدّم له إجازة أم لا؟، وهذا كله إن اعتبرنا ابن خلدون أجازه جملة من شيوخ المغرب الأوسط، لكن إذا نظرنا إليه على أنه من علماء المغرب الأوسط فقد تحصل على إجازات من طرف عدّة علماء كالتي أجازه فيها إمام المحدثين بتونس شمس الدين أبي عبد الله الوادياشي.

ونجد كذلك عينات أخرى من علماء المغرب الأوسط كان لهم باع في الاستفادة والإفادة على نحو ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) حيث يقول: "وقد أذنت لمن رآني أو رأى من رآني وهما درجتان؛ أن يحدِّث عني إن شاء الله بما شاء من مصنفاتي أو صح لديه من رواياتي"[34]، دون أن ننسى أهم علم كان له باع وفضل كبير على المغرب ألا وهو: منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ناصر الدين (ت 731هـ/1330م) الذي رحل إلى المشرق وأقام نحو عشرين عاما ولقي الأفاضل وأخذ عنهم كالعز بن عبد السلام والشرف المرسي[35]. وبعد هذه الجولة العلمية: "رجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل بجاية واتصل سند تعليمه في طلبتها"[36]، أما في تأليف

الثعالبي فإننا نلمس الصورة الواضحة عن حياته العلمية من تنقلاته ومشايخه ومجالسه وحتى تلاميذه، وذكر لنا بالتفصيل كل العلوم التي كان له الحظ فيها بتعلّمها، وبالتمعن في مصنفه نلمح المحاور الرئيسية عن: أسانيده في الروايات وإجازاته.

– أسانيده في الروايات: في مستهل مصنفه جاء: "وكانت مروياتي كثيرة وطرق أسانيدها كثيرة، وكان يشق عليّ تتبع جميعها لكل إنسان، واخترت من ذلك المهم مجرّدًا من الأسانيد، ومن أراد بأسانيدها وجدها في فهارسي التي عليها خطوط مشايخي"[37]، لذا نلاحظ أن سلسلة الإسناد التي يُعتبر فيها الثعالبي أحد حلقاته طويلة مبثوثة في فهارسه؛ وهذا تأكيد منه لنزع أي شائبة أو شك في ذلك، فربما رأى أن الهم أكبر من المهم وهو أن يبقى العلم منتشرا في الأوساط الطلابية وتجنبا للثقل عليهم، وختم كلامه بقوله: "التي عليها خطوط مشايخي"، فهو تأكيد منه على أنها كتبت من طرف مشايخه لا غيرهم وأنها كتابية لا شفوية.

وقد كان الثعالبي حريصا جدا على بقاء السند العلمي واستمراره مقدرا أهميته، وقد بدا ذلك من خلال سعيه الجدي في لقاء الأقطاب من شيوخ عصره واستجازتهم، كما بدا في إثرائه حلقات سلسلة السند، ومن النماذج[38]: "حدّثنا شيخنا أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم إملاء من حفظه في شهر ذي القعدة سنة ست عشرة وثمان مئة بالقاهرة، قال: أخبرنا أبو الحرم محمد بن محمد القلانسي إجازة، قال: أخبرتنا مؤنسة ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب قالت: أخبرنا أسعد بن سعيد بن روح إجازة من أصبهان، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية قالت: أخبرنا محمد بن عبد الله بن ريذة، قال: أخبرنا أبو القاسم الطبراني، قال: حدثنا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق وكانت قد أتت عليه عشرون ومائة سنة، قال: سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لمّا أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوزان وذهب يفرق السبي والشاء أتيته فأنشأت أقول هذا الشعر: [قصيدة مطولة]، [فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم]"[39]، وهذا الحديث– حسب الثعالبي– أعلى ما وقع له من الإسناد واعتبره لنفسه: "عشاري"، فحبه وشغفه جعله يقدم خدمة جليلة لمن أرادها وسعا جاهدا لبثه في طلبته، فراح يُتحف به شيخه أبا عبد الله محمد بن مرزوق عند وداعه له: "فَسُرَّ به، وكان سألني أن أجيزه مروياتي رحمه الله، ولا أعلم الآن على بسيط الأرض أعلى إسنادا من هذا الحديث بهذا السند، ولا يساويني في علوّه إلا من شاركني في الأخذ عن أبي زرعة

فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رجال، فقرب الرسول تقرّب للجنة إن شاء الله"[40].

– **إجازاته:** كان العلامة عبد الرحمن الثعالبي واضحا في مؤلَّفه لمّا ذكر الإجازات التي تحصل عليها[41]، وقدّم لنا نصوص الطلب ورد الطلب، فكانت واضحة جليا للاطلاع عليها ودراستها، فذكر نحو ثمانية إجازات[42]، والملاحظ عليها جميعا أنها مختلفة من حيث طبيعة نصوصها مابين نثرية ونظمية أو مزيجا بينهما، ومن نماذج هذا نص إجازة ولي الدين العراقي للثعالبي[43] باعتباره تلميذه ويقول فيها: "وكتب لي بخطه ما نصه: الحمد لله... فقد أجزت للشيخ... الثعالبي... جميع المكتوب هنا بخطه من مسموعاتي ومحضوراتي ومجازاتي ومقولاتي إجازة معينة، وتلفظت بذلك وأجزت له... إذا صحّ له ذلك من نسخة معتمدة، وأنا بريء من الغلط والتحريف... وذلك سنة 817هـ[/1414م]"[44]. ومن بين الأمور التي ألفتت انتباهي ذكره كلمة بخطّه مرتين، وهذا تأكيد على أن الإجازة المتحصل عليها بخط أستاذه وبخط تلميذه ولا غير، لأنه أحيانا يكلف الأستاذ أحدا بكتابة الإجازة، وكذلك في أحد المواضع قال: وتلفظت بذلك واستخدامه لهذا المصطلح لقطع الشك و لليقين بأنه قال الإجازة شفويا وأكدها كتابيا باعتباره بدأها بـــ: وكتب بخطه، وفي ثناياها ورد مصطلح: وأنا بريء من الغلط والتحريف؛ وهذا يبين مدى أهمية النسخة وصحتها وكذا تبرئة ذمته من بعض الدسائس والمغالطات المعتمدة أو العفوية.

من بين الذين كذلك سلطت عليه الضوء ابن مريم التلمساني من خلال مصنفه:"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، أين سعيت جاهدا اقتفاء كل أثر عن الإجازات فاستنبطت عددا منها، لكن ما يلفت النظر والاهتمام هي الكلمة الافتتاحية لاختتامية مصنفه، فقال: "اعلم أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم"[45]، وهذا اعتراف منه على أن من يحمل الإجازة هم من يحملون العلم.

بالنظر إلى مجموع الإجازات[46]، نلاحظ ما يدل على شيوع ظاهرة غير جديدة ونمط معتاد على هذا القرن (9هـ/15م) وهي: الإجازات العامة، من حيث اختلاف العلوم من نقلية وعقلية، وكذا من حيث طبيعتها: نثرية وشعرية، وربما من النماذج التي ساقها لنا لأحمد بن محمد المناوفي بقوله: "وإني رأيت الأئمة الأكابر والجلة المشاهر قد استجازوا إجازة مَن في الأصلاب، فكيف بمن

يمشي على التراب، بل ربما عدّ من الطلاب... الخ"[47]، فهذا نموذج يعكس شمولية الإجازة: من في الأصلاب –يمشي على التراب– عدّ من الطلاب، بهذا فهي إجازة مفتوحة مطلقة.

وفي نص آخر أطول وأدق من سابقه ينقل لنا إجازة من أحمد بن محمد بن زكري عام 897هـ/1491م، ونصها: "...إجازة مطلقة عامة... تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه... وتعم أيضا من يأتي بعده من بنيه من حامل عن بنيه وجاهل وفقيه على استمرار السنين... الخ"[48]. فماذا ترك ونسي لم يذكره ؟!

لذا بالنظر إلى إجازات علماء المغرب الأوسط[49] لم تكن محدودة ومعينة من جانب مكانها أو من أُجيزوا فيها، فابن مرزوق الحفيد أجاز بتلمسان نزيل وهران إبراهيم بن محمد اللنتي[50]، كما أخذ محمد بن يوسف السنوسي الصحيحين عن الإمام الثعالبي وأجازه ما يجوز له وعنه وعن أبي الحسن القلصادي الفرائض والحساب وأجازه جميع مايرويه[51]، كما نجد إجازة محمد بن أبي القاسم المشدالي (ت866هـ/1461م) ببجاية لأبي الحسن البلوي[52].

من خلال هذه اللمحة عن القرن 9هـ/15م، يمكن لنا القول بأن علماء المغرب الأوسط حصل لهم شرف نيل الإجازات من فطاحلة وجهابذة زمانهم وحتى شرف تقديمها، فلم تمنعهم الحدود ولا الظروف و لا المشقة والبعد في تقديمها أو السعي لطلبها، ونلمس كذلك نوعا من الفتور في الإجازة العلمية ونقص الاهتمام بها[53]؛ فربما مردّ ذلك إلى الصراعات السياسية القائمة بين دول المغرب الإسلامي ممّا قضى على عنصر الأمن والرحلات العلمية ماعدا النزر القليل الذي قليلا ما نعثر عليه في الكتابات.

إلا أن كل إجازة تبقى وللأبد عنوان لا لشخص بعينه أو جغرافيته أو... بل عنوان لعصر بأكمله، فمادتها تتكشف لتُعلن عن الحركة العلمية في تلك الحقبة التي أُرخت فيها، فمادتها استثمارية باستحقاق.

رابعا: العلوم والإجازات: الانتشار والتداول: الإجازة ما هو ملاحظ عنها أنها شمل تقديمها جميع المعارف، فقد كانت منهجيتها مطبقة في بادئ الأمر على أحد علوم الدين وهو علم حديث[54]، ولم تقتصر بمرور الوقت على العلوم النقلية ولم تبقى رهينة لها فحسب؛ بل شملت التاريخ والأدب واللغة وغيرها من العلوم[55]، وشملت حتى العلوم العقلية خاصة الطب وذلك لما له خطورة على حياة الإنسان ونفس الشيء للصيادلة[56]، وانتقلت كذلك الإجازات العلمية إلى الطرق الصوفية؛ فهناك

روايات تحدثنا عن شيوخ يجيزون تلاميذهم بالسبحة والضيافة والخرقة الصوفية ونحو ذلك من مظاهر الدخول في حضرة الشيخ والتتلمذ عليه في الطريقة التي سلكها[57] .

وبهذا تطورت الإجازات من الاقتصار والتخصص في رواية الأحاديث إلى الإجازات العلمية العامة في مختلف العلوم و عمت المعارف الإنسانية التي عرفها العرب و المسلمون.

خامسا: أوضاع الإجازة بمرور الزمن: بين الاتصال والانفصال: ظهور الإجازة على ساحة الحضارة العربية الإسلامية بدأت منذ عصر الدولة العباسية وحتى نهاية العصر العثماني[58]، وقد تطور استخدامها في العصور المتأخرة[59]؛ حتى أصبحت لا تعني التأهيل في العلوم لتساهل المجيزين في منحها، لأنه لم يعد هناك تحقق في المجازين في كفاءتهم ودرايتهم بالعلوم ولا من أخلاقهم وسلوكهم، كما أنها لم تعد تُقيد بالقراءة والمشافهة أو حتى بالجزء المقروء من الكتاب، وأصبحت تعطى مطلقة في كل العلوم وكل الكتب التي تعلّمها المجيز سواء قرأها المجاز أم لا[60]؛ وهذا بسبب اعتقاد بعض الأساتذة أنهم متخصصون في كل شيء، فبدءوا يمنحون الإجازات لا لصالح فرد، ولا يشيرون فيها إلى شخص بعينه أو علم محدد وإنما يجيزونها لكل من يعرفون، ولكل المسلمين في إقليم بعينه أو كل الأقاليم مشرقها ومغربها جنوبها وشمالها وكل المذاهب أو حتى في العالم كله وهذه تسمّى: الإجازة العامة؛ والتي كانت موفقة في القضاء على كل قيمة لهذه الشهادة وأجهزت عليها تماما[61].

وخضعت كذلك الإجازات العلمية لأحد المظاهر كالمجاملات؛ فطالب الإجازة يستدعي المجيز ببيت شعر أو بقطعة أو برسالة يطلب منه الإجازة ويصفه بألقاب ما أنزل الله بها من سلطان كالبحر والمحيط والشمس، ويتردد المجيز قليلا وقد يعتذر بأنه ليس من فرسان هذا الفن لكنه في النهاية يستجيب للإطراء والمدح فيقلد المجيز بألقاب أخرى[62]، ولهذا فقدت أهميتها لأنها كانت في بادئ الأمر تسعى جاهدة: "حرصا على بقاء الإسناد والمحافظة على الشريعة الغرّاء إلى يوم التناد"، لكن "نُسِيت في مغربنا بهذه الأعصر واكتفى أهله عن البسط بالحصر وأهملوا السند والإجازة، وحسبوا أن العلم بمجرد التدريس والحيازة "[63] قائلا ابن رحمون.

فبضعف العناية بالإجازة أصبح الطالب لا يقطع المسافات لحضور درس أستاذه ولا يتحمل عناء السفر والغربة[64]، فشتّان بين هذا الزمان (ق9هـ/15م)، وذاك الزمان (ق2هـ/8م) الذي سُئِل فيه الإمام مالك بن أنس عن الرجل يقول له العالم: "هذا كتابي فاحمله عنّي، وحدّث بما فيه عنّي، قال:

لا أرى هذا يجوز ولا يعجبني، لأن هؤلاء إنّما يريدون الحمل الكثير بالإقامة اليسيرة فلا يعجبني ذلك"[65]، فهذا الرد جاء لشخص رحل لطلب العلم وإنّما فقط رحلته وجلوسه بين الشيخ مدة قصيرة، فما بالك لمن لا يرحل إطلاقا ويطلب الإذن والإجازة.

لذا ما يؤسف له أن الإجازة فقدت أهميتها في أواخر القرن 9هـ/15م والعهد الذي يليه، ومردّ ذلك إلى انقطاع الرحلة العلمية واكتفاء الطلبة بطلب الإجازة عن طريق المكاتبة والاستدعاء لا بزيارة العلماء والأساتذة وملازمتهم والإصغاء إليهم كما كان عليه الحال عند السلف في السابق [66]، وبالتالي أدّى هذا الأمر إلى قرب انقطاع السند بالمغرب بسبب اختلال العمران وتناقصه ما دام أن العلم من جملة الصنائع فيكثر حيث يكثر العمران والحضارة[67].

سادسا: تحليل نص إجازة أنموذجي: تقاليد الفحوى: تقاليدها إسلامية وإجازات المغربة تشبه إجازات المشارقة على العموم، فاقتبست نموذجا لعبد الرحمن الثعالبي يستجيز فيه شيخه ابن مرزوق الحفيد[68]، وجعلت أبحث في ثناياه عن إفادات تخدم الموضوع عسى أن أصل إلى تقديم صورة واضحة عن ما بداخل الإجازة واستخلاص ما تحتفظ به من حقائق علمية وتوثيقية وتاريخية.

التزم العلماء في تحريرها أسلوبا خاصا وفق الأساليب المعروفة في الكتابات الديوانية وغيرها، فغالب الإجازات أنها تبدأ بافتتاحية إما مطولة أو مقصرة تتضمن البسملة الشريفة والحمدلة ثم الصلاة على معلم البشرية صلى الله عليه وسلم[69]؛ وبعدها يحدد الأستاذ اسمه واسم طالبه المجاز، ويؤكد على أن الطالب هذا قد عرض عليه فيشهد له بذلك ويسمح له بالرواية ويختمها بتوقيع.[70]

3– صيغة التحميد والتصلية: لكل واحد له معنى ومبنى، وكل يحمد من رآه مناسبا وواجبا، لكن المتفق عليه أن المصطلحات التي ينتقيها العلماء تحمل في طياتها دلالات، وأحدهم يطول والآخر يقصر، فهناك من في تحميده يرفع من قيمة العلم وضرورة الاشتغال به، وهناك من يعتمد في تحميده على العبارات المألوفة في القرآن[71]، فالثعالبي صدّر طلبه بـ: "الحمد لله الذي رفع سنة نبيه، فقرنها بالكتاب وانتخب لروايتها من اختاره لأولي الألباب فوفقهم للعمل بما عملوا فربحوا يوم الحساب، فهم أنجم يقتفي آثارهم الحائر، فمن وصل حبله بحبلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن انتظم في سلكهم فقد ارتفع وارتقى، أحمده سبحانه ولا يف أحد بتحميده، وأشكره أعظم الشكر و لا مكافئ لمزيده، وصلى الله على نبيه خير نبي أرسله صلاة تعم كالريح المرسلة"[72]، فتحميده هذا لا بالطول الممل ولا بالقصير المخل، حيث ركز فيه على وجوب الإقتداء بالعلماء

والتنور بأنوار عقولهم نظرا لِعظيم الأجر في ذلك، ثم أعقب تحميده وشكره لله بصلاة حسبه تعم بنفحاتها، فنلاحظ دائما وأبدا ارتباط ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحميد ارتباطا عضويا.

4– مضمون الإجازة: صياغة الإجازة تختلف حسب درجة الاستحقاق، حافلة بالألفاظ الضخمة وعبارات الإطراء والتقدير[73]، وقد تصاغ في شكل بسيط متواضع[74]، فعبد الرحمن الثعالبي استهل طلب الإجازة المرسلة لشيخه ابن مرزوق بـ: "يقول العبد الفقير إلى خالقه ومولاه، العالم بسره ونجواه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي"، فهو من حيث الألقاب هذه التي ذكرها كانت على قدر رتبته، ولم يطيل ويعدد الألقاب؛ لأنه لا يليق لأحد أن يذكر ألقابا لنفسه كي لا يصير كأنه أثنى على نفسه[75]، ثم انتقل بعدها إلى ذكر نسب شيخه المجيز ابن مرزوق، وأطلق العنان لتعداد نعوته الاجتماعية والدينية والعلمية، واستطرد مباشرة في ما له من المصنفات على اختلافها مع دعاء صغير لشيخه، وختمها بالصلاة والسلام على نبي الأمة صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة لتلبية الطلب، فعامة كان العلماء دائما يلبون طلب طلبتهم في الإجازة إذا استحقوها حتى يتمكنوا من ممارسة التدريس والرواية[76]، فرد طلب ابن مرزوق بدأ بالحمدلة والتصلية كما جرت عليه العادة، وبعدها بدأ بإتيان أركان الإجازة، وأول ما استهل به لفظ الإجازة بقوله: "فقد أجزت"، ثم أعقب هذا بذكر الركن الثاني وهو المجاز له: "الشيخ الأجل الفقيه الأنبل... عبد الرحمن الثعالبي"، وبعدها أتى بالركن الثالث وهو المجيز: "عبيد الله الحقير الذليل محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني"، وأخيرا الركن الرابع وهو المجاز به: "جميع ما تجوز لي روايته وما تصح نسبته إليّ المذكورة في هذه الأوراق"، فكل الأركان متوفرة، لكن ثمة عناصر نلاحظها في هذه الإجازة وذكرها في سياق النص، فمن بينها:

– التزامه بآداب المخاطبة والثناء والدعاء لنفسه ولطالبه مما يدل على العلاقة الوثيقة والوطيدة التي تجمع الشيوخ بطلبتهم.

– تحرير نص الإجازة[77] كان بخطه[78] لقوله: "وكتبه... ابن مرزوق".

– اختتم نص الإجازة بتوقيعه لاسم المجيز وبذكر الزمان دون المكان[79]، قائلا: "ابن مرزوق... في وسط جمادى الثانية عام 819هـ[/1416م]".

يُبرز هذا المقطع المقتطف من بين نصوص الإجازات الدقة في كتابتها والتوثيق في ذكر أركانها من المجيز والمستجيز والمجاز به ولفظ الإجازة، وهي كما رأينا كتبها الشيخ بنفسه (ابن مرزوق) لطالبه (عبد الرحمن الثعالبي)، والتي تبين التمسك بالمفاهيم الخُلُقية السامية والتقاليد الاجتماعية الإسلامية التي يتمسك بها الناس عامة والطلبة والشيوخ خاصة، فالتمسنا فيها نوع من التقدير والتقديس والاحترام للعلم وللعلماء لا رغبة في نيل الإجازة ولا رهبة من غضب الأستاذ دون انتظار ثواب أو ابتغاء مصلحة، هكذا نعم كان الطالب الثعالبي وشيخه ابن مرزوق وحتى غيرهم من العلماء جمعاء.

الخاتمة: الإجازة تقليد علمي، شبّ عليها الصغير، وهرم من أجلها الكبير، وهي ليست سوى زاوية من زوايا الإشعاع الثقافي، استنارت بها عقول أفراد بل أجيال بأكملها، فقد كانت بحق ظاهرة فريدة في التراث العربي؛ تعطي صورة عن قمة النضج الذي بلغه الفكر الحضاري.

لذا ليس من المبالغة في شيء، إن قلت إن المناهج التعليمية والتقاليد العريقة في تراثنا العربي المطبقة في أكاديميات العالم في عصرنا ليست في الأصل إلا جزءا من التراث الحضاري الإسلامي والفكر العربي الأصيل النير، لذا علينا أن نسعى جاهدين أكثر لتسليط الضوء على صفحات أخرى من تراثنا العريق، لنا أولا ثم لغيرنا، وهذا لا يتأتى إلا بقرع أبواب الماضي النيّر، لولوج آفاق المستقبل الرحب، فما أحوجنا إلى تطلع واجتهاد، لا مجرد تمنّ ورُقاد!!.

الهوامش:

1- محمد ضياء الرحمن الأعظمي: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص 08.

2- تمكن رؤوف عبيد وجان يونج من خلال دراسته بعض الإجازات من التوصل إلى أن أصل الكلمة الأكاديمية الأوربية "Bacalaureate" مستمدة من التعبير العربي "بحق الرواية" .انظر: فيصل الخفيان: فن فهرسة المحفوظات– مدخل وقضايا- ،معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999، ص76.---**3**- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 2006، 389/2.

4- أحمد رمضان أحمد: الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 – 10هـ/ 10- 16م، منشورات هيئة الآثار، مصر، 1985، ص14.---**5**- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص18.---**6**- أبو عبد الرحمن وعاشور خضراوي الحسني: علم القراءات في الجزائر- واقع وآفاق-، ضمن أعمال ملتقى الإقراء والقراءات في الجزائر واقعها وآفاقها، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية المتخصص في القراءات، 2004، ص78.---**7**-روبار برنشفيك:

تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمّادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ج379/2.---**8**- عباس العزاوي: "نصوص في إجازات الخطاطين"، مجلة المورد، ع3-4، الجمهورية العراقية، 1972، 180/1.

9–DEPONT Octave et coppolani Xavier: Les confréries religieuses musulmans, typographie adolphe jourdan, Alger, 1897, p 198.

10-علياء هاشم المشهداني: "فقهاء المالكية -دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف ق 6هـ/ 12م-"، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، 2003، ص 97.---**11**-بسام كامل عبد الرزاق شقدان: "تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)"، رسالة استكمال لمتطلبات درجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، الأردن، 2002، ص 221. ---**12**-فقد عمل سلاطين الزيانيين على تشجيع العلم بدفع رواتب الأساتذة وتقديم المنح للطلبة، وكانوا يسلمون الإجازة لمن يستحقها ليحققوا التنافس في شتى العلوم (انظر: الجيلالي شقرون: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، د.ع، د.ت، ص 05).---**13**-محمد بوشقيف: "تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال ق 8-9هـ/14-15م"، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 80. ---**14**-ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص 403.---**15**-ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.---**16**-أبو الحسن علي الأندلسي القلصادي: رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 95.

17–BERQUE Jaque: L'intérieur du maghreb xv-xix siecle , Editions Gallimard, s.p, 1978, p. 210.

18-محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية -دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية-، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 30. ---**19**-ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.---**20**-مولود قاسم نايت بلقاسم: "بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العربية"، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، كتاب الأصالة، بجاية: 8-16 يوليو 1985، 30/1.

21-مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، 31/1.---**22**-ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.---**23**-محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 80.---**24**-مريم هاشمي: "العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان و بجاية خلال ق 7-9هـ/13-15م"، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 125. كما سجلت لنا المصادر الكثير من هذه النماذج على غرار إجازات ابن زاغو والثعالبي وابن مرزوق الحفيد لابن زكري (أبو جعفر أحمد البلوي الواديَاشي: ثبت البلوي، دراسة وتحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 425-428).---

25-عبد الرزاق قسوم: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1978، ص 132-138.---26-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، 41/2.

27-ثمة نماذج عدّة تمكنت من اقتطاف شرف نيلها من فطاحلة زمانهم على نحو قاسم بن سعيد محمد العقباني (ت 854هـ/1450م) الذي: "رحل للحج في سنة ثلاثين وحضر بمصر إملاء ابن حجر واستجاز ابن حجر فأجازه". (أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، 14/2). ---**28**-محمد بنعيسى بويوزان: "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين"، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، 2005، ص 233.---**29**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج27/1-28.---**30**-محمد بوشقيف: "المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م،" دورية كان التاريخية، ع11، د.م، 2011، ص 61.---**31**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج41/2.---**32**-عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000، 513/7. ---**33**-ابن خلدون: المصدر السابق، 513/7.

34-المرجع السابق، 92/1، وهذا النوع من الإجازة يطلق عليه الإجازة العامة.---**35**-محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930، ص 217 – 218.---**36**-ابن خلدون: المقدمة، ص

403.---**37**-عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ويليها: رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2005، ص25.---**38**-هناك اعتزاز نجده عند عبد الرحمن الثعالبي الذي كان الحديث النبوي الشريف ومصنفاته شغله الشاغل في رحلته، وقد ذكر الأحاديث والروايات والمصنفات التي أخذها عن الشيوخ.---**39**-الثعالبي: المصدر السابق، ص 55-56.---**40**-المصدر السابق، ص 58.---**41**-عاد الثعالبي إلى المغرب الأوسط بعد حصوله على الإجازات والشهادات العلمية العالية والإذن له بالتدريس والإفتاء من جهابذة العلماء المحققين في علمي المنقول والمعقول. (محمد الشريف قاهر : "الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وكتابه الأنوار في آيات النبي المختار"، ضمن أعمال ملتقى عبد الرحمن الثعالبي، الجزائر: من 29 سبتمبر إلى 01أكتوبر 2003، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2004، ص 45).

42–Jaque Berque : op. cit, p 211.

43-ورد ذكر لهذه الإجازة في رحلته ضمن مصنفه التفسيري فقال: "لقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فأخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث... وكتب لي وأجازني جميع ما حضرته عليه وأطلق في غيره". (عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمار طالبي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، 159/4).---**44**-الثعالبي: المصدر السابق، ص 119-120.---**45**-أبو عبد الله محمد الشريف ابن مريم المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 307. ---**46**-عدد الإجازات التي ذكرها تابعة للقرن التاسع هي تسعة، إضافة إلى إجازات أخرى تكلم وتحدث عنها لكنها تخص القرن 10-11م.---**47**-ابن مريم: المصدر السابق، ص 20.---**48**-المصدر السابق، ص 19.---**49**-من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا عنها دون عودة وآثروا المشرق على المغرب أبو عصيدة البجائي (حي 856هـ/1452م)، وهو يعتبر من المجاورين للحرم المكي، وكان له شرف الجلوس للتدريس بالحرم النبوي، فتمذهب بالمذهب الحنفي، وقد أجازه كمال الدين الهمام، فهو يُحسب على المغرب الأوسط بالنظر لأصله لكنه استقر بالحجاز وحصل على إجازات. (أبا عصيدة البجائي: رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص 29.)، هذا إلى جانب الذين ذكرهم السخاوي وهم تسعة علماء من المغرب الأوسط، وذكر أمر بقائهم أو عودتهم، فكل وظروفه فهناك من عاد ومنهم من وافته المنية في الطريق بمصر وغير ذلك، ومن بين الذين آثروا العودة بعد تحصيل وافر من معين المشرق: عبد الله بن يوسف الحسناوي البجائي، حيث قال السخاوي عنه:" وكتبت له إجازة حافلة ورجع إلى بلاده... الخ"، فهذا تلميح رائع منه، رغم غموض مرحلة ما بعد عودته. (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط2، دار الجيل، بيروت، 1992، 73/5).---**50**-ابن مريم: المصدر السابق، ص 58.---**51**-التنبكتي: المصدر السابق، 251/2-252.---**52**-البلوي: المصدر السابق، ص186.---

53-يرى الباحث عبد القادر بوعقادة أن ثمة عوامل وعراقيل عدّة فرضت حتمية التساهل في الإجازة نظرا لحالة الخناق الذي طغى على الواقع من اضطراب في الأمن المؤدي إلى تعذر لقاء العلماء وكذا كبر السن وعدم القدرة على التنقل. (عبد القادر بوعقادة: "الحركة الفقهية بالمغرب الأوسط بين القرنين 7-9هـ/13-15م"، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، الجزائر، 2015، ص 609).---**54**-مريم هاشمي: المرجع السابق، ص 124.---**55**-فيصل الحفيان: "فن فهرسة المخطوطات -مدخل وقضايا-"، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999، ص 75.---**56**-أحمد رمضان: الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 - 10هـ/ 10 - 16م، منشورات هيئة الآثار، مصر، 1985، ص 15.---**57**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج41/1.---**58**-هذا لا يعني أنها توقف تداولها فيما بعد هذه الفترة المحددة؛ إنما القصد بهذا أي انتشارها الواسع بين العلماء وتداولها المألوف بشكل كبير، لأن بعد هذه الفترة بدأت تظهر شهادات وألقاب وصيغ أخرى جديدة تفرعت عن نموذج الإجازة. ---**59**-مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 18-19.---**60**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، 40/2.---**61**-خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس -أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية-، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص 123.---**62**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، 40/2.---**63**-عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم

المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء:إحسان عباس،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، 1/81-82.---**64**-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، 41/2.---**65**-ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1994، 1159/2.---**66**-محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 61.---**67**-عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 402.---**68**-صرح الثعالبي باستفادته الإجازة من شيخه الحفيد في رحلته بتونس مؤكدا ذلك بقوله: "ولقيت بها شيخنا أبا عبد الله محمد بن مرزوق... فأخذت عنه كثيرا وأجازني التدريس في أنواع الفنون الإسلامية". (الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 159/4).---**69**-عمر موسى باشا: "دور العلم والإجازات العلمية وأهميتها في الثقافة الإسلامية"، ضمن أعمال الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، الجزائر: من 31 أوت إلى 07 سبتمبر 1980، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، ص 311.---**70**-مصطفى المسلوتي: "الإجازات العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب"، مجلة دار الحديث الحسينية، ع7، الرباط، 1989، ص 250.---**71**-هادي صبحي العمد: كتب البرامج والفهارس الأندلسية -دراسة وتحليل-، ط1، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1993، ص 22. ---**72**-الثعالبي: المصدر السابق، ص 113.

73–DEPONT : Les confréries, op. cit, p 198.

74-لامعة زكري: "الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2010، ص 75.---**75**-القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1919، 327/14.---**76**-محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 83. ---**77**-من شروط الإجازة عند القلقشندي -خاصة في هذا العنصر- أنه أعطى شرحا وتوضيحا لنص الإجازة من حيث: بِمَ تُكتب، وفيما تُكتب ؟، وقال في هذا الصدد:" وجرت العادة أن يكون ما يُكتب في الغالب في قِطْع عريض؛ إما في فرخة الشاميِّ أو نحوها من التبديِّ، وتكون الكتابة بقلم الرِّقاع أسطرا متوالية، بين كل سطرين نحو أصبع عريض". (القلقشندي: المصدر السابق، 322/14)، ولمعرفة هذا يجب علينا الإطلاع على النسخة المخطوطة الأصلية لنص الإجازة.---**78**-تحرر نصوص الإجازات بخطوط الشيوخ المجيزين، لكن أحيانا يمنعهم العذر من مرض أو كبر أو ضعف البصر عن الكتابة فينيبون عنهم بعض طلبتهم (ابن رشيد الفهري: استدعاءات الإجازة، دراسة وتحقيق: عبد اللطيف الجيلاني،ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2007، ص 217-218).---**79**-لم يَرِدْ ذكر المكان في هذه الإجازة، وقليلا ما عثرت على ذكره، لكن الثعالبي لمّا أورد هذه الإجازة سبّقها بعبارة:" وفي عام تسعة عشر وثمانمئة قدِم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله محمد ابن مرزوق"(الثعالبي: المصدر السابق، ص 112).

ABSTRACT:

The scientific reward is a historical document of great importance for it let us know about past intellectual life as it contributed to the unification of all the learning syllabuses. It also informs us about the cultural situation in the islamic magreb which was characterised by the communication existing between the different scientists in various sciences.

The islamic tradtions are very well illustrated through the texts greatly and correctly written. Moreover, the significant values of how.

science was acquired by different generations and throug hout the different places. It was really a scientific tradition to which all the scientists of the middle era were stuck.